منك اسدًا اي انت اسد ومجردا ان يكون من اسدا الله علينا هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا
من طاعة وصلاح قرت به عينا وقرّت به عينا قرة وقرورا فيها وهو ما من القرار
اي رضيت حتى تقر عيني فلم تطمح الى فوقه او من البرد من قولهم قر يومنا من القر بالضم
وهو البرد وقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فان للسرور دمعة باردة
وللحزن دمعة حارة ثم بين الله تعالى اول معاملتهم مع الخلق بانهم يمشون على الارض هونا
ولا يؤذون احدا وانهم اذا خاطبهم الجاهلون السفهاء لا يعارضونهم بالاذى ولكن احتملوا ذلك
عنهم وتجاوزوا وقالوا قولا سديدا ثم بين معاملتهم مع الحق ودعاءهم بالليل والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ثم اخبر
عن صنيعهم في اموالهم بانهم ينفقونها قواما ثم بين انهم مع تحليهم بهذه الفضائل مع اصول الطاعات
يجتنبون عن امهات المعاصي ثم بين معاملتهم مع اهليهم ودعاءهم في حقهم وفي حق انفسهم فان
قولهم واجعلنا يعنون به انفسهم وذرياتهم ومن قرأ ذريتنا على التوحيد نظر الى ان اسم الذرية
يطلق على الواحد والجمع ومن قرأه على لفظ الجمع قصد زيادة الكثرة كالجمع لفظ القوم
والرهط لذلك فيقال اقوام وارهط قوله وتنكير الاعين مع ان المراد بها اعين القائلين
فهي معينة فلاي شيء نكرت والجواب عنه انه لما قصد تنكيرا لغرض التعظيم نكر المضاف اليه فانه لا سبيل
الى تنكير المضاف الا بتنكير المضاف اليه هكذا المضاف اليه لذلك فكانه قيل هب لنا سرورا لا يكتنه
كنهه قوله وتقليلها يعني ان الفاعلين جمع غفير فلم قللوا اعينهم حيث عبروا عن عينهم بجمع القلة اجابه
بان عيون المتقين قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم وفيه ان التعبير بجمع القلة لا يكفي فيه ان يكون المعبر
عنه قليلا بالاضافة الى الغير بل يجب ان يكون عشرة او ما دونها والقلة الاضافية لا يستلزم ذلك
قوله وتوحيده مع انه مفعول ثان لقوله واجعلنا فينبغي ان يطابق المفعول الاول في الافراد
والجمعية ويقال واجعلنا ائمة قوله بصبرهم ان ما مصدرية فلم يقيد الصبر المتعلق بل اطلق
ليشيع في كل مصبور عليه والمضيض ووجع المصيبة قوله دعاء بالتعمير والسلامة اي ان التحية
هي الدعاء بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة ولم يذكر الملقي اياها وهم في الغرفات ويمكن ان
يكون ذلك هو الله تعالى لقوله سلام قولا من رب رحيم وان يكون الملائكة لقوله والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم وان يكون بعضهم يحيي بعضا ويسلم عليه قوله او تبقية
دائمة عطف على قوله دعاء بالتعمير اي ويجوز ان يكون المعنى ويلقون في تلك الغرف التبقية
الدائمة والسلامة من كل افة اي يعطيهم الله تعالى البقاء والخلود بان يبقيهم في الجنة خالدين
سالمين وعلى هذا المعنى يكون الكلام مستعملا في اصل معناه لان معنى التحية الاحياء او التبقية

البقية يقال حياه تحية اي حياه احياء كما يقال بقاه تبقية بمعنى ابقاه ابقاء وعلى المعنى
الاول يكون مجازا لانه نزل الدعاء بالتحية منزلة التحية فان من دعا بان يبقيه ويخلده
فكانه بقاه وخلده بناء على انه تعالى وعد باجابة الدعاء حيث قال ادعوني استجب لكم
قوله تعالى خالدين حال من يجزون او يلقون اي مقيمين فيها من غير موت ولا انتقال
ثم انه تعالى لما وصف عبادة العابدين وعد خصايلهم الحميدة وشرح ثوابهم ووعدهم ما وعدهم
لاجل عبادتهم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس صريحا ان مبالاة الله تعالى بكم
واعتناءه بشانكم حيث خلق السموات والارض وما بينهما ارادة لانتظام احوالكم وقضاء
حوائجكم ومهماتكم انما هو لتعرفوا حق المنعم وتطيعوه فيما كلفكم به من التكاليف وتظفروا بالسعادة
الابدية والا فهو تعالى غني عنكم وعن عبادتكم فقال قل ما يعبأ بكم اي ما يصنع بكم واي وجه
يحتاج اليكم وهو غني عن العالمين يقال عبأ يعبأ فهو عابئ اي احتاج اليه فهيأه
لذلك قوله ولولا دعاؤكم ذكر فيه وجهان احدهما لولا دعاؤه اياكم الى التدين والطاعة
فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول وثانيهما كون المصدر مضافا الى فاعله وكونه بمعنى العبادة
والتذلل بالوجوه المبينة في الشرع واختار ان يكون الخطاب في قوله تعالى قل ما يعبأ بكم وفي قوله
لولا دعاؤكم فقد كذبتم متوجها الى جنس الناس من تعبد بنوع من انواع هذا الجنس ثم وجه صحة اسناد
العبادة والتكذيب الى الجنس المذكور بانه لما وجد في صنف من اصنافه العبادة وفي صنف
اخر من اصنافه التكذيب صح اسنادهما اليه وكان يعد بقراءة فقد كذب الكافرون منكم
الا ان دخول الصالحين الابرار في خطاب فقد كذبتم فسوف يكون لزاما بناء على ان يقال في
تاويله فقد كذب صنف منكم لا يخلو عن بعد والظاهر ان يكون الخطاب متوجها الى كفار قريش لان
هذه السورة الكريمة نازلة لتقريع كفار قريش على عنادهم وتكذيبهم ايات الله تعالى وتسميتهم القران
باساطير الاولين وطعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام
واما ذكر المؤمنين فتعريض بهم وجواب قوله تعالى لولا دعاؤكم محذوف لدلالة المقام عليه اي لولا
دعاؤكم لما خلقتكم ولما اعتنى بشانكم وقوله تعالى فقد كذبتم موضوع موضع ان يقال فقد تركتم
عبادتي وخالفتم حكمي على طريق التعبير بالملزوم عن اللازم لان التكذيب مستلزم لترك العبادة
والظاهر من تقرير صاحب الكشاف انه جعل قوله فقد كذبتم معطوفا على شرط محذوف وقوله
فسوف جزاء لذلك الشرط المحذوف كانه قيل اذ اعلمتكم اني لا اعتد بكم لا تشتغلوا بالعبادة وبعد هذا
تركتم العبادة فسوف يحيقكم العذاب قوله تعالى لزاما خبر يكون واسمه مضمر والمعنى يكون
جزاء التكذيب لازما على ان يكون اللزام مصدرا كالقتال اقيم مقام الفاعل كما يقال العدل مقام العادل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1